

مشغل الديني والسياسي في منجز المدرسة القيمية "القضايا، الموارد، والمقاربات"

The Religious and the Political question in the Achievements of the Values School: Issues, Resources, and Approaches

✻ لخضر بولطيف

جامعة المسيلة - الجزائر

lakhdar.boultif@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2024/10/20 تاريخ القبول: 2024/11/03

الملخص:

تُحصى المدرسة القيمية في رصيدها ضمن حقل "السياسة والتدبير" ما يناهز الأربعين عملا علميا؛ ما بين مذكرة ماستر ورسالة دكتوراه، مدار عدد منها على مشغل "الديني والسياسي في تجربة الحكم الإسلامي"، ولئن كان جُلّها بحكم مقتضى تخصص الباحثين المقيّد بتاريخ الغرب الإسلامي، إنما اشتغاله على التجارب السياسية الوسيطية في المغرب والأندلس، ولكن أيا منها لم يكن بمعزل عن الصدور وتمثّل التجربة السياسية الإسلامية المبكرة، على اعتبار كونها الإطار المرجعي الذي لا يُتصوّر انفكاك أي تجربة سياسية لاحقة عنها.

تتطلع هذه الورقة العلمية من خلال نماذج مختارة من منجز المدرسة، للوقوف على أبرز القضايا والإشكالات التي عالجتها، كما أهم

الموارد التي استمدت منها مادتها، وأعملت فيها نظرها، وصولاً إلى اختبار مدى مراس أصحابها بالمناهج المستخدمة من خلال المقابلة بين الهواجس البحثية المعبر عنها، ومخرجات البحث المتوصل إليها. الكلمات المفتاحية: المدرسة القيمية؛ الديني؛ السياسي؛ المذهب؛ المنهج.

Abstract:

The Values School records nearly forty scientific works in the field of "politics and management," including master's theses and doctoral dissertations, many of which revolve around the question of "the religious and the political in the experience of Islamic governance". Although most of them, due to the researchers' specialization in the history of Islamic West, focus on medieval political experiences in Morocco and Al-Andalus, none of them operates in isolation from the emergence and the representation of the early Islamic political experience, considering it as the reference framework from which no subsequent political experience can be imagined to detach.

This scientific paper aims, through selected examples from the school's achievements, to highlight the most significant issues and problems it has addressed, as well as the key resources from which it derived its material and applied its analysis, arriving to testing the extent of its authors' proficiency in the used

methodologies by comparing the expressed research concerns with the research achieved outcomes.

Keywords: Values School; the religious; the political; the doctrine; the methodology.

1. مقدمة:

تُحصى المدرسة القيمية¹ في رصيدها ضمن حقل "السياسة والتدبير" ما يناهز الأربعين عملاً علمياً؛ ما بين مذكرة ماستر ورسالة دكتوراه، مدار عدد منها على مشغل "الديني والسياسي في تجربة الحكم الإسلامي"، ولئن كان جُلّها بحكم مقتضى تخصص الباحثين المقيّد بتاريخ الغرب الإسلامي، إنما اشتغاله على التجارب السياسية الوسيطية في المغرب والأندلس، ولكن أيّا منها لم يكن بمعزل عن الصدور وتمثّل التجربة السياسية الإسلامية المبكرة، على اعتبار كونها الإطار المرجعي الذي لا يتصوّر انفكاك أي تجربة سياسية لاحقة عنها.

إن ما راكمته المدرسة القيمية في رصيدها بهذا الشأن، على أهميته ووجاهته، أو لأجل ذلك على وجه التحديد، يقتضي منها القيام دورياً بمزيد من المراجعات والتقييمات للمنجز، سواء من حيث استيعابها واستثمارها لمختلف المدوّنات التراثية من سياسية وفقهية وكلامية...، أو من حيث ما حققته من تكامل وشمول في تناولها لمختلف القضايا ذات الصلة، أو من حيث من أحرزته من تحيين ومواكبة في مقارباتها على وقع التطور المتسارع لمناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تتطلع هذه الورقة العلمية من خلال نماذج مختارة من منجز المدرسة، للوقوف على أبرز القضايا والإشكالات التي عالجتها، كما أهم

¹ - المدرسة القيمية هي إطار تصوري جديد لممارسة البحث التاريخي، بما يسمح بالوقوف على القيم المرجعية المؤطرة لفكر الإنسان وسلوكه؛ سواء كانت معلنة أو مضمرة. تتوزع أعمال المدرسة على ميدانين: التحقيق والتأليف، هذا الأخير ينتظم مجالين: منهجي ومعرفي. المعرفي يشتغل على سياقين: استكشافي واستشكالي، كل سياق يظم خمسة من الحقول المعرفية: -الاستكشافي (السياسة والتدبير، الاقتصاد والمعاش، الاجتماع والعمران، التربية والسلوك، الفكر والعرفان).

-الاستشكالي (المنظومات، المدونات، الخطابات، العتبات، التمثلات).

الموارد التي استمدت منها مادتها، وأعملت فيها نظرها، وصولاً إلى اختبار مدى مراس أصحابها بالمناهج المستخدمة من خلال المقابلة بين الهواجس البحثية المعبر عنها، ومخرجات البحث المتوصل إليها.

2. القضايا:

سمحت لنا عملية فرز وتصنيف لمنجز المدرسة في حقل السياسة والتدبير بتوزيعه على ثمانية محاور، كل محور يضم مجموعة أعمال يصل بينها قدر من الوشائج والمقاصد والغايات. على أن علاقة هذه المحاور ببعضها البعض غير منبثة، بحكم اندراجها جميعاً ضمن الحقل نفسه.

2. 1. النص المؤسس والنصوص الحواف²:

منذ اللحظة التي قرر فيها أنصار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه رفع المصاحف على أسنة الرماح في معركة صفين، تعبيراً عن رغبتهم في الاحتكام إلى كلام الله والنزول عليه، فقد أضى النصُّ المؤسسُ الأوَّلُ في قلب المعركة السياسية ومختلف امتداداتها وتجلياتها اللاحقة.

كان من بواكير أبحاث المدرسة المنجزة بهذا الصدد، بحث: "جدل المتعالي والتاريخي في مدونة التفسير الإسلامي.. من الطبري إلى القرطبي"³، وهو كما يدل عليه عنوانه مقارنة جدلية لقضايا مختارة، كان حظ السياسي منها نماذج من قبيل: الهجرة، والجهاد، وطاعة أولي الأمر، في

²- تفاديا لأي لبس، فإننا نقرر من غير موارد، أن إعمالنا لبعض الاصطلاحات، على غرار ما ورد في العنوان أعلاه، هو بمعزل عن أي حمولة إيديولوجية، مما أُلِفَ القراء وروده في أدبيات العلمانيين العرب، من المشتغلين على الشأن الديني، كما هو الحال -على سبيل المثال- لدى المفكر التونسي عبد المجيد الشرفي وطائفة من تلامذته. بل إن مرادنا من إعمال تلك الاصطلاحات بمدلولاتها اللغوية الصرفة هو -في القصد الأول- تحريرها مما شحنت به من إichاءات متجنية ضد المنجز التراثي.

³- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثتين: حليلة بوصبع وحليمة يحيوي، جامعة المسيلة، 2014-

ضوء تفسيرين مختلفين من تفاسير القرآن الكريم، يتفاوتان زمانا ومكانا، ما بين متقدم ومتأخر، ومشرقي ومغربي. وخلافا لدعوى الفهوم النمطية المتوارثة خلفا عن سلف، فإنه قد نشأت من حول النص المؤسس الواحد نصوص حواف متباينة، عبرت بصدق عن انشغالات زمانها ومكانها، في تفاعل حيٍّ ومستمر ما بين النص الرباني المعصوم والعقل البشري القاصر، الذي لم يدع القداسة لفهمه واجتهاده، بقدر ما أبان عن حرصه على استمداد التسديد والتأييد من المتعالي صاحب الأمر والنهي.

ومن بين الأبحاث الأخرى ذات الصلة بهذا المحور -أيضا- بحث: "العقل الفقهي في التاريخ.. مقارنة لمسلك الفقيه في الفهم والتنزيل خلال العصر المرابطي"⁴، وهو بدوره يعكس محاولة، وإن على صعيد آخر -الفقه بدل التفسير-، لسبر أغوار العلاقة المتشابكة بين النصوص والوقائع؛ النصوص في عملها الدائب على تطويق الوقائع، وتسييجها، وما يتفق وهدايات السماء، والوقائع في تفلتها الدائم، ومحاولتها فرض منطقها المتعنت، ما يجعل العقل الفقهي في حالة شد وجذب بين تكييف الوقائع وتأويل النصوص، وسيلاحظ أنه كلما تعلق الأمر بالشأن السياسي، تفاوتت التقديرات والتخريجات -إن قليلا أو كثيرا، بحسب الأحوال- بين نظر الفقيه وحاجة السلطان.

دواعي ذلك التفاوت القائم على امتداد تاريخنا السياسي، في تفسير النصين: القرآني والنبوي، ما بين النظر الفقهي والمقتضى السلطاني، كان موضوعا لأبحاث أخرى، نكتفي منها بمثالين:

⁴ -مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: سجية بوساق، جامعة المسيلة، 2013-2014.

- بحث: "المدونة السياسية التراثية في الغرب الإسلامي بين نظر الفقيه وحاجة السلطان"⁵، والذي كان مداره على ثنائية؛ قطبها الأول: "السلطان من التعالي بالسياسي إلى تكريس مفاهيم الطاعة"، فيما قطبها الثاني: "جهود الفقيه في الحد من مطلقية السلطان رقابة وترشيدها".

- بحث: "فقه الجهاد في العصر الموحدي من خلال كتاب "الإنجاد" لابن المناصف.. النظر الفقهي والمقتضى السلطاني"⁶، وقد كشف عن المفارقة المزمنة في اتفاق المفاهيم حد التطابق، كلما اتصل الأمر بقتال الآخر غير المسلم، بينما تتسع الهوة حد التناقض لما يتصل الأمر بقتال المسلمين، سواء بذريعة شق عصا الطاعة أو بذريعة القيام على أمراء الجور.

2.2. المرجعية الدينية وتنازع الصدارة السياسية:

احتفظ لنا ابن الأزرق (ت 896هـ/1491م) بنص في غاية الأهمية، منسوب للفقيه الأندلسي ابن العربي (ت 543هـ/1148م)، يسجل فيه الأطوار التي تدرجت فيها العلاقة بين العلماء والأمراء، يقول فيه: "كان الأمراء-قبل هذا اليوم وفي صدر الإسلام- هم العلماء، والرعية هم الجند، فاطرد النظام، وكان القوام (=العدل)، ثم فصل الله الأمر بحكمته البالغة وقضائه السابق؛ فصار العلماء فريقا، والأمراء آخر؛ وصارت الرعية صنفا، وصار الجند آخر، فتعارضت الأمور، ولم ينتظم الجمهور"⁷.

⁵- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: فهيمة بوشبي، جامعة المسيلة، 2014-2015.

⁶- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: هجيرة نصر الدين، جامعة المسيلة، 2017-2018.

⁷- نقله ابن الأزرق في كتابه: بدائع السلك في طبائع الملك، نسخة أولى بتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1976، 375/1؛ ونسخة ثانية بتحقيق: علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام، العراق، 77-1978، 391/1. وقد اعتمدت النسختين معا، لأن عبارة

كان مشغل العلاقة بين الديني والسياسي من بين أهم المشاغل البحثية التي حظيت باعثناء المدرسة، ومنذ صدور كتابي: "الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي.. رصيد التاريخ وخصوصية التجربة"⁸، تهيأ لعدد من منتسبي المدرسة إنجاز أبحاث قطاعية تناولت إشكالات محددة؛ كطبيعة العلاقة بين السلطتين السياسية والعلمية في مسار تاريخ دول بعينها⁹، أو في نزوع المدونة التاريخية التي أنتجها الفقيه إلى التأسيس لسلطة موازية لسلطة الأمير¹⁰، ما أفرز ظواهر سياسية كانت جديدة بالدرس والتحليل؛ كدولة الأجناد، ودولة الفقهاء¹¹، وعلماء كان لهم حضور سياسي يضاهي حضورهم العلمي¹²، وأمرأٍ حكموا دولا في طيلسان

ابن العربي وردت مضطربة في كليهما، ولم يتيسر تقويمها إلا بإعمال المقارنة والجمع بين عبارتي النسخين.

⁸ - ط1، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2005؛ وط2، منشورات مؤسسة نور، ألمانيا، 2017؛ وط3، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2018، ضمن سلسلة الكتب الأكاديمية المحكمة، رقم 15.

⁹ - زينب قذيفة: "طبيعة العلاقة بين السلطتين السياسية والعلمية في التجربة المرابطية.. تحالف أم شراكة؟"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2016-2017؛ وعقيلة عومري: "جدل السلطتين السياسية والعلمية في التجريبتين المرابطية والموحدية (445-668هـ/1053-1269م)"، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1، 2019-2020.

¹⁰ - سعدية معبزة: "الخطاب التاريخي بالغرب الإسلامي في سياق التجاذب بين سلطتي المنبر والبلاط.. عصر الموحدين"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2014-2015.

¹¹ - حنينة بلميلود: "سياسة الدول بين منطق أهل القلم ومنطق أهل السيف.. مقارنة بين دولة الأجناد (الأغلبية) ودولة الفقهاء (المرابطون)"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2017-2018.

¹² - كريمة مقدود: "النخبة المشرقية بين مناهل العلم وميادين السياسة.. القاضي الفاضل (529-596هـ/1135-1200م) أنموذجا"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2017-2018؛ وعبد الله سعدي: "النخبة الأندلسية بين مناهل العلم وميادين السياسة.. لسان الدين ابن الخطيب (713-776هـ/1313-1374م) أنموذجا"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2018-2019؛ وصبيرة علي ميني: "النخبة المغربية بين مناهل العلم وميادين السياسة.. ابن قنفذ القسنطيني (741-810هـ/1340-1407م) أنموذجا"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2011-2012.

علماء¹³. ولكن الفقهاء -في واقع الأمر- لم يكونوا الجهة الوحيدة التي زاحمت جهة الأمراء على تبوأ الصدارة السياسية في التاريخ الإسلامي، إنما كانت جهة الأولياء حاضرة بكل فعالية، ما استحققت معه كظاهرة سياسية أن تُفرد -بدورها- بالبحث¹⁴.

2.3. صراع المشروعات السياسية.. نقضا وتأسيسا:

من البدهي أن تستأثر "مسألة المشروعات" بذلك القدر من الأهمية في التاريخ السياسي الإسلامي؛ فعلى الشرعية مدار القول في السلطة السياسية، ولقد ظل "سؤال الشرعية" شاغلا محوريا في الثقافة الإسلامية ماضيا وحاضرا¹⁵، إلى حدّ يمكن القول معه بأن تاريخ الفكر السياسي في الإسلام، وبقطع النظر عن مختلف الأشكال التعبيرية التي أُفرغ فيها؛ من فقه وكلام وتصوف وفلسفة، لا يعدو "أن يكون قولا في الشرعية السياسية"¹⁶.

ويعد بحث: "المرجعية الدينية للمشروعات السياسية في الغرب الإسلامي (ق 2-7هـ/8-13م)"¹⁷، أحد أبرز الأعمال التي تمثل مساهمة المدرسة في هذا المضمار؛ فإنه لم يكتف بتسليط الأضواء على المرجعية الدينية للمشروعات السياسية السنية، بل وتطرق أيضا للمرجعتين

¹³ - سهيلة جاب الله: "سياسة العلماء في تدير شؤون الدول.. المنصور الموحيدي (580-595هـ/1184-1198م) أنموذجا"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2018-2019.

¹⁴ - آمال زنت: "الرابط في العهد الموحيدي بين الوظيفة التعليمية والوظيفة السياسية"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2018-2019.

¹⁵ - حياة عاممو وآخران: السلطة وهاجس الشرعية في الثقافة الإسلامية، تقديم: الصادق بوبكر، ط1، دار أمل للنشر والتوزيع صفاقس، تونس، 2005، ص9.

¹⁶ - سعيد بنسعيد العلوي: "خطاب الشرعية السياسية في الإسلام"، مجلة التسامح (مسقط)، ع 15/صيف 2006، ص163.

¹⁷ - رسالة دكتوراه، من إنجاز الباحثة: فضيلة هدار، جامعة باتنة 1، 2020-2021.

الخارجية والشيوعية، ما يضع بين يدي المهتمين كافة البيانات الضرورية لإجراء مقارنات متوازنة وهادفة.

ولما كان خطاب الشرعية يعكس فيما يعكسه التدافع الحاصل بين الممسكين بمقاليذ السلطة السياسية، وخصوصهم من الساعين إلى نقض مشروعاتهم، والتأسيس لمشروعية بديلة. وهو الإطار الذي تنزّل فيه تجارب تاريخية سياسية عديدة، ليست التجربة السياسية الموحدية بدعاً منها، فقد جاء بحث: "صراع المشروعات التأسيسية في الغرب الإسلامي.. رمزية الغزالي بين المرابطين والموحدين"¹⁸، تجسيدا لهذا المعطى التاريخي، حيث عملت الدولة الموحدية بلا هوادة من خلال استغلال حادثة إحراق المرابطين لإحياء الغزالي، لأجل نسخ مشروعاتهم لصالح مشروعية بديلة، اختلق لها الموحدون قصة لقاء ابن تومرت بالغزالي.

وفي رصيد المدرسة أبحاث أخر ناقشت الدور الذي اضطلع به الفقهاء حيال المرابطين والموحدين في خضم ذلك الصراع¹⁹.

2.4. الديني مذهباً والمذهبي سياسة:

مع أن المذهبية قد لا تعني للوهلة الأولى سوى الانحياز إلى تبني خيار من بين عدة خيارات في فهم وتفسير النص الديني، لكن مظاهر الاختزالية

¹⁸ - مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: فضيلة هدار، جامعة باتنة 1، 2015-2016.

¹⁹ - يراجع بحثنا: "دور الفقهاء في تأمين الغطاء السياسي للسلطة المرابطية في مواجهة خصومها"، المجلة التاريخية الجزائرية (المسيلة)، ع 03، جوان 2017، ص 63-73؛ و"فقهاء مدينة سبتة في عصر الموحدين.. من المناهضة إلى المناصرة"، ضمن أعمال الندوة الدولية: أعلام مدينة سبتة في التاريخ المغربي والعلاقات السبتية الفاسية، المنعقدة بفاس، بتاريخ: 26-27/11/2008، إعداد وتنسيق: حميد لحمر، منشورات جمعية فاس سايس، فاس، 2010، ص 123-133.

والإطلاقية والإقصائية التي لطالما ارتبطت بالاصطفاف المذهبي، كادت أن تجعل من المذهب المختار ديناً قائماً بذاته، ثم إذا ما نجمت سلطة سياسية تروم توظيف هذا الدين "المذهبي" أو "المتمذهب"، لم يعد مستغرباً -حينها- إذا ما جرى "إخراج الصراعات القبلية، والخلافات الاجتماعية، والنزاع على النفوذ والتموقع، في صورة مذهبية خالصة"²⁰.

ولذلك فإن أبحاث المدرسة نأت بنفسها على أن تنتشب في السرديات التاريخية للصراع بين فرقاء الساحة المذهبية، بل آثرت أن تتجه إلى مناطق الظل المسكوت عنها حرجاً أو تعصباً، فكان من عائد ذلك بحث: "العنف والعنف المضاد بين السنة والشيعة في تاريخ الغرب الإسلامي"²¹، وكذلك بحث: "احتفاء أدباء الغرب الإسلامي بآل البيت.. نزعة شيعية أم هوى علوي؟"²². فضلاً عن أبحاث أخذت على عاتقها التعرف على الآخر المذهبي من خلال الإنصات إلى سرديته عن نفسه، على غرار بحث: "الإباضية والآخر في تاريخ الغرب الإسلامي.. رؤية من الداخل"²³. كما روجعت بعض المسلمات المتداولة بشأن مكونات

²⁰- حسين بويدي: "بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي.. قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقي"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية (قسنطينة)، ع 23/2018، ص203.

²¹- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثين: عبد الرحمن زرو وعبد المالك العدوي، جامعة المسيلة، 2016-2017.

²²- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحث: بوعلام مسعودي، جامعة المسيلة، 2019-2020.

²³- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: سليمة فرج، جامعة المسيلة، 2015-2016.

مذهبية بعينها، بحيث أمكن الفرز في بنيتها بين ما هو فكري ظاهر، وما هو سياسي متخفٍ²⁴.

2. 5. مسألة الخلافة والإمارة على البلدان:

لعل لأهمية مقولة الشَّهْرُسْتَانِي (ت 548هـ/1153م): "ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان"²⁵، ما يبرر ذبوعها لدى كثير ممن تناقلوها قديما وحديثا. والواقع أن مسألة الإمامة أو الخلافة، بقدر ما استلت السيوف، وأهرقت الدماء بسببها، بقدر ما استلت الأقلام، وأهرقت الأخبار بسببها أيضا.

ولئن كان منطلق الشر من بلاد المشرق، إلا أن بلاد المغرب سرعان ما اصطلت بفتنة الصراع على عرش الخلافة، فإنها كانت موئلا لحركات المعارضة -خارجية وشيعية- التي اتخذتها قاعدة تحشيد وتحرك، وما هي حتى شهدت قيام دول أعلنت انفصالها عن دولة الخلافة، ثم آل الوضع إلى ظهور دول أخرى زاحمت الخلافة المشرقية في لقب الخلافة نفسه، بل تطلعت لتوحيد العالم الإسلامي تحت لوائها، كصنيع الفاطميين والموحدين²⁶. وفي ظل هذا التدافع السياسي بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، اتسمت العلاقات بالتعاون تارة، وبالتشنج تارة أخرى، والحال أن

²⁴- لخضر بولطيف: "المهدوية في الغرب الإسلامي بين الرمز الديني والتوظيف السياسي"، مداخلة في المؤتمر العالمي الرابع: النظرية المهدوية، المنعقد بطهران، بتاريخ: 14-15/08/2008 (غير منشورة).

²⁵- الشَّهْرُسْتَانِي: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1975، 24/1.

²⁶- هاجر الباهي وحنان بولعود: "التجارب الوحدوية في بلاد المغرب الإسلامي... دراسة مقارنة بين التجريبتين الفاطمية والموحدية"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2019-2020.

توحيد العالم الإسلامي تحت سلطة واحدة قد صار حلما بعيد المنال، قبل ظهور العثمانيين على مسرح الأحداث²⁷.

ولقد عبر عدد من الأبحاث المنجزة أو التي هي قيد الإنجاز في إطار المدرسة، عن مختلف الحثيات المذكورة أعلاه²⁸، وعيا من أصحابها بأهمية تامين جهود الإصلاح السياسي، والسعي نحو تشييد صرح الوحدة الإسلامية.

2.6. القبيلة والدولة الوسيطية:

سيظل الجهد التنظيري الذي دشنه ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م) حول الدور الأساس الذي نهضت به القبيلة في قيام الدول الوسيطية، حتى لأضحت مكونا بنيويا صميما في بنية الدولة نفسها، جهدا غير مسبوق، ما دعا باحثين مرموقين إلى خصه بدراسات عميقة ورصينة²⁹، فيما تشوفت دراسات أخرى إلى تجاوز عتبة العصر الوسيط، لمقاربة الحضور القبلي في نطاق الدولة الحديثة³⁰.

²⁷- كاهنة عريش: "فشل المشاريع الوحدوية في الغرب الإسلامي بعد سقوط الموحدين"، مذكرة ماستر، جامعة باتنة 1، 2017-2018.

²⁸- فتحي قرازة: "انبعاث الحركة المرابطية بالمغرب.. مقتضى الإصلاح ودواعي الجهاد"، مذكرة ماستر، جامعة باتنة 1، 2015-2016؛ وسليمة فرج: "الانبعاث السني: السلجوقي المرابطي، ودوره في تقويض النفوذ الفاطمي مشرقا ومغربا"، رسالة دكتوراه، جامعة يلدريم بايزيد، أنقرة، تركيا (قيد المناقشة). يراجع أيضا بحثنا: "فقهاء الغرب الإسلامي بين خلافتين: الموحدية والعباسية"، ضمن كتابنا: الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي بين التنظير والممارسة، ط3، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة، 2018، ص 103-140.

²⁹- محمد عابد الجابري: العصبية والدولة.. معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994؛ والدراجي بوزياني: العصبية القبلية.. ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2003.

³⁰- محمد نجيب بوطالب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.

ولم تتخلف المدرسة عن مواكبة هذا المشغل، من خلال عدد من الأبحاث المقترحة أو المنجزة؛ فمن الصنف الأول، بحث: "عثمان بن عفان ؓ حاكم مدينة الرسول ﷺ.. العقيدة، والقبيلة، والغنيمة"³¹؛ ومن الصنف الثاني: "القبيلة والدولة في المغرب الأوسط خلال القرنين (4 و5 هـ/10 و11 م).. صنهاجة أنموذجاً"³²، و"الحضور السياسي للقبائل الهلالية بالمغرب الإسلامي.. من التوظيف إلى الممالة"³³، و"العصبية الموحدية من قبيل الدعوة إلى قبيل الدولة"³⁴. هذا، فضلاً عن أبحاث أخرى عنت بتتبع أثر القبيلة داخل دواليب السلطة الحاكمة، وعلاقاتها الملتبسة مع رجالاتها النافذين³⁵.

2.7. التعالي بالسياسي وإدانة الأصوات المعارضة:

- ³¹- من الموضوعات المقترحة غير المنجزة، المتوفرة في رصيد بنك المدرسة.
- ³²- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: فيروز بورنان، جامعة المسيلة، 2012-2013.
- ³³- رسالة دكتوراه، من إنجاز الباحث: نور الدين مسعودي، جامعة المدية، 2018-2019.
- ³⁴- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثين: سلوى لوصيف وسالمة بن مونة، جامعة المسيلة، 2020-2021.
- ³⁵- لخضر بولطيف: "هجرة قبيلة كومية إلى قاصية المغرب.. من رداء لدولة بني عبد المؤمن إلى عبء عليها"، مداخلة -عن بعد- في الملتقى الفكري الدولي الثاني: الهجرة عبر التاريخ.. إشكالات ومقاربات ورهانات، من تنظيم قسم العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم، بجامعة قطر بالاشتراك مع جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، بتاريخ: 2021/04/03 (غير منشورة)؛ و"المعلن والمضمر في علاقة ابن خلدون بقبائل المغرب الأوسط.. المال والسلطة والولاء"، مداخلة في الملتقى الوطني السابع عشر بسكرة عبر التاريخ: العلامة عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406 م) بالجزائر وبسكرة، من تنظيم الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية ببسكرة بالتعاون مع مخبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي في معالجة اللغة وتحليل الخطاب ومخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها بجامعة بسكرة، بتاريخ: 2021/12/19 (غير منشورة).

من بين القضايا الطريفة ذات الصلة الماسة بحقل السياسة والتدبير، قضية المعارضة للسلطة الحاكمة القائمة، وكان المستشرقون³⁶ من أوائل الذين أسبغوا وصف "أحزاب المعارضة" على حركات الخوارج والشيعة التي ناصبت الخلافة الأموية فالعباسية العداء. يطالعنا حصاد المدرسة بعدد من الأبحاث التي حداها الفضول العلمي لاستكشاف خبايا موضوع المعارضة السياسية في الغرب الإسلامي، سواء من خلال القدر الضئيل الذي تفصح لنا عنه المدونة التاريخية³⁷، أو من خلال الإيماءات المواربة للمدونة الأدبية³⁸. ولن يفلت من مجسّات ذلك الفضول موضوع من قبيل: "الحراك الشعبي في الغرب الإسلامي.. بواعثه، تجلياته، تداعياته"³⁹.

ولما كان من دأب الخطاب السلطوي التعالي بشخص الحاكم، وجعله فوق طور المساءلة والتعقيب عليه، بله نقده والإنحاء عليه، وبالموازاة مع ذلك الإمعان في تشويه مخالفيه ومعارضيه⁴⁰، ففي حوزة المدرسة نموذجان وضعا هذا المسلك السياسي على محك الدرس، وهما:

³⁶- يوليوس فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في الإسلام.. الخوارج والشيعة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.

³⁷- محمد مهية بن يونس: "النقد السياسي للسلطة الحاكمة في المدونة التاريخية الوسيطية للغرب الإسلامي.. دولة الموحدين نموذجا"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2019-2020.

³⁸- مريم قدير وربيعه أرفيس: "خطاب النقد السياسي والاجتماعي في مدونة المقامات بالغرب الإسلامي"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2020-2021. وفي رصيد بنك المقترحات موضوع: "خطاب النقد السياسي والاجتماعي في مدونة المنامات بالغرب الإسلامي".

³⁹- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثتين: سارة عجنق وحنان بلجيري، جامعة المسيلة، 2019-2020.

⁴⁰- محمود إسماعيل: "من سمات الخطاب السلطوي إزاء قوى المعارضة في الإسلام"؛ ضمن الكتاب الجماعي: مسالك الثقافة والمثاقفة في تاريخ المغرب.. أعمال تكريمية مهداة للأستاذ السعيد لمليح، تنسيق: أحمد الصديقي وآخرون، ط1، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 2016، ص265-274.

بحث "التعالي بالسياسي في الغرب الإسلامي على عصر الموحدين.. كتاب وشعراء تحت الطلب"⁴¹، وبحث "شيطنة الخطاب الرسمي للأصوات المعارضة في تاريخ الغرب الإسلامي.. دولة الموحدين أنموذجاً"⁴². أما بشأن الحالات الأخرى التي جرى التعامل معها تحت غطاء الامتحان والعقاب، فقد خُصّصت ببحثي: "الفقيه والمحنة في تاريخ المغرب الوسيط.. التجليات والتداعيات (½ ق 02هـ/08م - ½ ق 05هـ/11م)"⁴³، و"نظام العقوبات في الغرب الإسلامي بين تحقيق العدالة الاجتماعية وتصفية الحسابات السياسية.. دراسة في العقل التأديبي الموحد"⁴⁴.

2.8. حقوق الإنسان.. حق التفكير وحق المواطنة:

وفيما لا ينفك عن هواجس المحور السابق، فإن مسألة حقوق الإنسان، وما يتفرع عنها من حقوق الأقليات الدينية، كانت في صدارة الاهتمامات التي أولتها المدرسة اعتناءها. ومن ذلك البحث الموسوم بـ: "حقوق الإنسان في الغرب الإسلامي.. الكرامة الإنسانية حفظاً وهدراً"⁴⁵. ولما كان حق التفكير واحداً من الحقوق المكفولة لرعايا الدولة الإسلامية، فقد تساءلنا إلى أي مدى أبدت السلطتان السياسية والدينية تقبلاً للأصوات غير المتناغمة مع اختياراتهما، من خلال بحثي: "الهرطقة في

⁴¹- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: مروة سراي، جامعة المسيلة، 2018-2019.

⁴²- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثتين: أسماء يحوي وبشرى رويشي، جامعة المسيلة، 2020-2021.

⁴³- مذكرة تخرج، للباحثة: نادية بلمزيقي، جامعة المسيلة، 2007-2008.

⁴⁴- رسالة دكتوراه، للباحث: كمال رجالين، جامعة باتنة 1 (قيد المناقشة).

⁴⁵- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: رقية شبيرة، جامعة المسيلة، 2019-2020.

الغرب الإسلامي.. حق التفكير وحق التكفير"⁴⁶؛ و"المصادر الفكرية في الغرب الإسلامي.. من إحراق الإحياء إلى إحراق المدونة"⁴⁷.
أما المسألة المؤرقة بحق، فكانت بشأن وضع غير المسلمين من اليهود والنصارى في ظل دولة الإسلام، فإنه على الرغم مما تقرر من حقوق لا جدال فيها لأهل الذمة⁴⁸، فإن من المفكرين المعاصرين من يرى أن هذا الوصف الدارج الملازم لهم "بات أكثر الأوصاف حاجة إلى المراجعة وإعادة النظر"⁴⁹، وذلك على خلفية نقاش حقوق حول حق غير المسلمين في التمتع بحقوق مواطنة كاملة تحت الحكم الإسلامي، وهو ما حاولت بعض الأبحاث مقارنته تحت عنوان: "الدين والمواطنة في الغرب الإسلامي بين النظر الفقهي والاعتبار السلطاني"⁵⁰، فيما تطلعت أخرى إلى إمالة اللثام عن الدور السياسي الفاعل الذي اضطلع به غير المسلمين في ظل حكومات إسلامية معينة⁵¹.

3. الموارد:

من نافلة القول إن حاجة التاريخ لـمأخذ متعددة، وإيعابه لمعارف متنوعة، لهو مما لم يند عن نظر ابن خلدون، فتراه يؤكد على حاجة صاحب هذا الفن "إلى العلم بقواعد السياسة، وطبائع الموجودات،

⁴⁶- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: سليمة ارفيس، جامعة المسيلة، 2019-2020.

⁴⁷- رسالة دكتوراه، للباحث: مصطفى بن العيطر، جامعة الجزائر 2 (قيد الإنجاز).

⁴⁸- كمال السعيد حبيب: الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002.

⁴⁹- فهد هويدي: مواطنون لا ذميون.. موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص110-127.

⁵⁰- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: آمال صغيري، جامعة المسيلة، 2017-2018.

⁵¹- ميمونة شرعيل: "اليهود في بلاطات البربر بالغرب الإسلامي.. غرناطة بني زيري وفاس بني مرين"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2023-2024 (قيد الإنجاز).

واختلاف الأمم والبقاع والأعصار، في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق، أو بؤن ما بينهما من الخلاف"⁵².

ولذلك إذا كان لمحور الموارد من إضافة قد ينفرد بها، زيادة على ما عبّرت عنه سردية المنجز، ونماذجه الدالة، فهو التنويه بأهم المدونات التراثية التي يمتح منها الباحث المعطيات الضرورية في مختلف الحقول المنتمية لهذا المجال، وما قد يعني له ذلك -بالتبعية- من لزوم اكتساب -ليس- الخبرة فحسب بهذه المدونات المتعددة، ولكن المراس -أيضا- بمعارفها الزاخرة المتنوعة.

وحيث أنه يتعذر علينا -ههنا- أن نسلك مسلك الاستقصاء لكل ما استرفده منتسبو المدرسة في رسائلهم وأطاريحهم المرقونة منها والمنشورة، من نصوص مصدرية، ومدونات تراثية، فإننا سنقتصر على عناوين مختارة لأهم تلك النصوص والمدونات، مما كانت تتكرر الإحالة إليه، ولم ينقطع الورد عليه.

3. 1. المصادر التراثية:

- عبد الحميد الكاتب (ت 132هـ): رسالة في نصيحة ولي العهد.
- ابن المقفع (ت 145هـ): الدرّة اليتيمة والجوهرة الثمينة.
- ____: رسالة الصحابة.
- ابن أبي الربيع (ت 227هـ): سلوك المالك في تدبير الممالك.
- الجاحظ (ت 255هـ): التاج في أخلاق الملوك.
- ____: الرسائل.

⁵²- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ص34.

- الثعلبي (ت 260هـ): أخلاق الملوك.
- ابن قُتيبة (ت 276هـ): عيون الأخبار.
- ابن البطريق (ق 03هـ): كتاب السياسة في تدبير الرياسة.
- ابن عبد ربه (ت 328هـ): العقد الفريد.
- الفارابي (ت 339هـ): آراء أهل المدينة الفاضلة.
- ____: السياسة.
- ____: الرسائل.
- ابن الداية (ت 340هـ): سياسة الأمراء وولادة الجنود.
- الوزير المغربي (ت 418هـ): السياسة.
- الإسكافي (ت 421هـ): لُطف التدبير في سياسات الملوك.
- ابن مسكويه (ت 421هـ): رسالة في ماهية العدل.
- ابن سينا (ت 428هـ): رسالة في السياسة.
- الثعالبي (ت 429هـ): آداب الملوك.
- الماوردي (ت 450هـ): الأحكام السلطانية والولايات الدينية.
- ____: تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك.
- ____: قوانين الوزارة وسياسة الملك.
- ____: نصيحة الملوك.
- ابن حزم (ت 456هـ): كتاب السياسة.
- أبو يعلى الفراء (ت 458هـ): الأحكام السلطانية.
- الجويني (ت 478هـ): غياث الأمم في التياث الظُّلم.
- نظام الملك (ت 485هـ): سياسة نامة.
- الحُمَيدي (ت 488هـ): الذهب المسبوك في وعظ الملوك.
- المُرادِي (ت 489هـ): الإشارة في تدبير الإمارة.

- الغزالي (ت 505هـ): التبر المسبوك في نصيحة الملوك.
- الطُّرُوشِي (ت 520هـ): سراج الملوك.
- الأهوازي [علي بن محمد] (حي 542هـ): التبر المنسبك في تدبير الملك.
- ابن طُفَر الصقلي (ت 568هـ): سلوان المطاع في عدوان الطباع.
- المالقي (ت 574هـ): أنجم السياسة.
- ابن رشد (ت 595هـ): الضروري في السياسة.
- ابن الجوزي (ت 597هـ): الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء.
- ابن رُزَّين (ق 06هـ): آداب الملوك.
- القلعي (ت 630هـ): تهذيب الرياسة وترتيب السياسة.
- ابن الحداد (حي 649هـ): الجوهر النفيس في سياسة الرئيس.
- ابن طلحة القرشي (ت 652هـ): العقد الفريد للملك السعيد.
- ابن الطقطقي (ت 709هـ): الفخري في الآداب السلطانية.
- ابن تيمية (ت 728هـ): الخلافة والملك.
- —: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية.
- النويري (ت 732هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب.
- ابن سِماك (ت 750هـ؟): رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير.
- ابن القيم (ت 751هـ): الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
- ابن هُدَّيل (ت 753هـ): عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة.
- الطرسوسي (ت 758هـ): تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك.
- السَّبكي (ت 771هـ): معيد النعم ومبيد النقم.
- مجهول (حي 771هـ): قانون السياسة ودستور الرياسة.
- الشيزري (ت 774هـ): المنهج المسلوك في سياسة الملوك.
- ابن الخطيب (ت 776هـ): رسالة في السياسة.

- ابن رضوان (ت 783هـ): الشهب اللامعة في السياسة النافعة.
- أبو حمّو الزباني (ت 791هـ): واسطة السلوك في سياسة الملوك.
- ابن خلدون (ت 808هـ): المقدمة.
- القلقشندي (ت 821هـ): صبح الأعشى في كتابة الإنشا.
- : مآثر الإنافة في معالم الخلافة.
- ابن عربشاه (ت 854هـ): فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء.
- الرّجراجي (ت 868هـ): هداية من تولى غير الرب المولى في أمور السلطنة وما يجب على السلاطين وما ينبغي عليهم وما ليس لهم.
- ابن الأزرق (ت 896هـ): بدائع السلك في طبائع الملك.
- المَغيلي (ت 909هـ): تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين.
- ابن الأعرج (ت 925هـ): تحرير السلوك في تدبير الملوك.
- ابن نُجيم (ت 970هـ): السياسة الشرعية.

3.2. المراجع الحديثة:

- إبراهيم بيضون: تكون الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول؛ من دولة عمر إلى دولة عبد الملك.
- : ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري.
- أحمد البغدادي: "الدولة الإسلامية بين الواقع التاريخي والمنظور الفقهي" (= مقال).
- إحسان عباس: "ابن رضوان وكتابه في السياسة" (= مقال).
- أبو الأعلى المودودي: الخلافة والملك.
- امحمد جبرون: الفكر السياسي في المغرب والأندلس في القرن الخامس الهجري.
- حامد عبد الله ربيع: التراث الإسلامي ووظيفته في بناء النظرية السياسية.

- :_____ التراث السياسي الإسلامي.
- :_____ نظرية القيم السياسية.
- حسن الترابي: السياسة والحكم؛ النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع.
- حسين فوزي النجار: الإسلام والسياسة؛ بحث في أصول النظرية السياسية ونظام الحكم في الإسلام.
- خير الدين يوجه سوي: تطور الفكر السياسي عند أهل السنة.
- رضوان السيد: الأمة والجماعة والسلطة.
- :_____ "رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام" (= مقال).
- :_____ "الوزير المغربي ومصائر علاقات الثقافة بالسلطة في القرنين الرابع والخامس للهجرة" (= مقال).
- سالم يفوت: "التاريخ والسياسة في فكر ابن حزم" (= مقال).
- سعيد بنسعيد: دولة الخلافة؛ دراسة في التفكير السياسي عند الماوردي.
- :_____ "الفقيه معلم السلطان؛ النصيحة والتدبير" (= مقال).
- :_____ "الفكر الأخلاقي السياسي الأشعري والثقافة اليونانية" (= مقال).
- عادل فتحي ثابت: شرعية السلطة في الإسلام.
- عبد الجواد ياسين: السلطة في الإسلام؛ العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ.
- عبد الحميد متولي: مبادئ نظام الحكم في الإسلام.
- عبد الرحمن بدوي: الأصول السياسية للنظريات السياسية في الإسلام.
- عبد السلام بنعبد العالي: الفلسفة السياسية عند الفارابي.
- عبد الكريم عثمان: النظام السياسي في الإسلام.
- عبد المجيد الصغير: الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام.

- _____: المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية.
- عبد المجيد النجار: "الدولة والسياسة في فكر المهدي بن تومرت" (= مقال).
- عز الدين العلام: السلطة والسياسة في الأدب السلطاني.
- عزيز العظمة: "السياسة واللاسياسة في الفكر العربي الإسلامي" (= مقال).
- علي أومليل: السلطة الثقافية والسلطة السياسية.
- علي حرب: "حول إشكالية الدين/الدولة" (= مقال).
- علي الغزيوي: أدب السياسة والحرب في الأندلس.
- عمر المالكي: الفلسفة السياسية عند العرب.
- ظافر القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي.
- فاضل زكي محمد: الفكر السياسي العربي الإسلامي.
- فتحي عبد الكريم: الدولة والسياسة في الفقه الإسلامي.
- الفضل شلق: الأمة والدولة؛ جدليات الجماعة والسلطة في المجال العربي الإسلامي.
- _____: "الفقيه والدولة الإسلامية؛ دراسة في كتب الأحكام السلطانية" (= مقال).
- كمال عبد اللطيف: في تشريح أصول الاستبداد؛ قراءة في نظام الآداب السلطانية.
- لخضر بولطيف: الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي.
- لؤي صافي: العقيدة والسياسة.
- محمد أحمد دحج: مرايا الأمراء؛ الحكمة السياسية والأخلاق التعاملية في الفكر الإسلامي الوسيط.

- محمد الأمين بلغيث: النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس.
- محمد جلال شرف: نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام.
- محمد الحداد: "التراث العربي في السياسة والتنظيرات السياسية المعاصرة في مسألة الحكم" (= مقال).
- محمد سليم العوّا: في النظام السياسي للدولة الإسلامية.
- محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي؛ محدداته وتجلياته.
- محمد عمارة: الإسلام وفلسفة الحكم.
- —: معركة الإسلام وأصول الحكم.
- محمد ضريف: تاريخ الفكر السياسي بالمغرب.
- محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية.
- محمد ضيف الله بطانية: "الدولة في النظم الإسلامية" (= مقال).
- محمد فاروق النيهان: نظام الحكم في الإسلام.
- محمد فتحي الدريني: "الفكر السياسي عند الغزالي والماوردي وابن خلدون" (= مقال).
- محمد القبلي: الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط.
- محمد محمد أمزيان: في الفقه السياسي؛ مقارنة تاريخية.
- محمد محمود ربيع: النظرية السياسية لابن خلدون؛ دراسة مقارنة في النظريات الإسلامية والفكر السياسي الإسلامي.
- محمد ولد داداه: مفهوم الملك في المغرب.
- محمود الخالدي: معالم الخلافة في الفكر السياسي الإسلامي.
- مصطفى حلمي: نظام الخلافة في الفكر الإسلامي.
- ناصيف نصّار: مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ.

- نصر محمد عارف: في مصادر التراث السياسي الإسلامي.
- نظير الجاهل: "الأصل والتواصل في الإسلام؛ تنازع الشرع والدولة في ملاحظات حول بعض النماذج الأصولية والكلامية" (= مقال).
- هاشم يحيى الملاح: "أساليب تداول السلطة في الدولة العربية الإسلامية" (= مقال).

4. المقاربات:

تنطلق المدرسة القيمية من قناعة، أن ما يشهده البحث العلمي في العقود الأخيرة، من تطور منهجي؛ بل ومن طفرات منهجية متسارعة غير مسبوقة، يملي علينا أن نكون على دراية واطلاع على كل الحصائل والمستجدات، فضلاً على أن تقويم المنجز السالف والراهن، من شأنه أن يجعلنا على بينة من المكاسب لتأكيداتها وتثمينها، والمعايير لتفاديها وتصويبها.

والمدرسة في ذلك تجد نفسها قريبة، بل ومعنية، بما توالى التأكيد عليه من قبل باحثين مشهود لهم بالاقتدار المنهجي، على "خطورة القضية المنهجية في صياغة العقل الإسلامي المعاصر"⁵³. ولكم يستوقفني قول أحدهم -وهو كالخلاصة لتجربته المديدة:- "إننا الآن في أشد الحاجة إلى موقف صلب، ينبني على مبدئين: مبدأ التحدي والاعتزاز بما لدينا من تراث زاخر بأصول منهجية إسلامية، بإمكانها أن تؤطر فكر المسلم المعاصر، في أبحاثه، وعلومه كلها، لو عمل حقا على استخراجها. ومبدأ الاستفادة من الغرب منهجياً عن طريق ما أسميه بالاستصلاح بدل الأسلمة"⁵⁴.

⁵³- فريد الأنصاري: أبجديات البحث في العلوم الشرعية.. محاولة في التأصيل المنهجي، ط7، دار السلام، القاهرة، 2020، ص13، 26.

⁵⁴- المرجع نفسه، ص53.

ولا يبعد ذلك كثيرا، عما خلصت إليه أحدث الأبحاث المنهجية، التي صدرت في الوطن العربي⁵⁵، من ضرورة إيلاء التفكير الجاد لتجديد منهج الكتابة التاريخية العربية، والأخذ بفرص ترقية الأداء الأكاديمي في الحقل التاريخي العربي، وذلك عبر مراجعة النتائج التي انتهت إليها التجارب المنجزة، والنظر فيما يرد على المؤرخين العرب من تيارات منهجية تجديدية، تطلعا إلى كسب معركة تجديد مناهج تطوير المعرفة خارج سلطان الكتابة التقليدية⁵⁶.

ومن بين قسّمات الحل المقترح، للخروج من المأزق المنهجي الراهن، بحسب أحد أبرز الباحثين المشاركين في الكتاب سالف الذكر، هو العمل على إيجاد ظروف للتجديد في الكتابة التاريخية على أساس "أهْلنة" المنهج، ويقصد بذلك فهمنا وتحليلنا مجتمعاتنا بالطريقة الصحيحة، من أجل تخطي المعارف الإثنومركزية الغربية التي أنجزت حولها. وينبه الباحث إلى أن المشكلة ليست في كل المعارف الغربية، بل فقط في تلك التي صاغها بعض الدارسين الغربيين -ومن تأثر بمنهجهم من غير الغربيين- بشأن مجتمعاتنا، والتي لا تُظهر حقيقة واقعا، بل حتى تمنعنا نحن أحيانا من فهمه بطريقة مثلى⁵⁷.

⁵⁵- صدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بالدوحة (2023)، كتاب لمجموعة باحثين، بعنوان: بعض قضايا المنهج في علوم السياسة والتاريخ والقانون والديموغرافيا، يشتمل على اثني عشرة بحثا تنتهي إلى الحقول المعرفية الأربعة المذكورة في عنوانه.

⁵⁶- علي الصالح مولى في الفصل الثامن من الكتاب: "جغرافية الحقل التاريخي في ضوء تقاطع الاختصاصات.. محاولة في إعادة تشكيل المفهوم"، على الرابط:

<https://bookstore.dohainstitute.org/p-2459.aspx>

⁵⁷- عبد الحميد هنية في الفصل التاسع من الكتاب: "التجديد في الكتابة التاريخية عبر منهج أهْلنة المعرفة"، على الرابط:

<https://bookstore.dohainstitute.org/p-2459.aspx>

إنه بعد أكثر من عقد من معاركة النصوص، ومطالبة المناهج قديمها وحديثها، تأتى للمدرسة القيمية، أن تصنع لنفسها ما يشبه التوليفة، التي تقوم على رؤية أن التاريخ يُعنى بحركة الإنسان في الزمان والمكان، وأن حراكه في عالم الشهادة لا يجعله منفصلاً عن عالم الغيب، من حيث إيمانه بالخالق والسيرورة والمآل، ما يؤسس لمقاربة عمادها تعدد العوامل الفاعلة والمكوّنة للنسق التاريخي؛ مادياً وغيبياً، عقلياً وروحيّاً، جماعيّاً وفرديّاً، وغير خاف ما لذلك من تأثيرات غير هيّنة على تصور الباحث لدوره في الحياة، وصلته بممارسة البحث ضمن دوائر أكاديمية مرتّنة لمفاهيم مخاتلة، تحت غطاء دعاوى الموضوعية والعقلانية والعلمية.

وما كان لجهود المدرسة القيمية أن تثمر بهذا الصدد، لو لا تضافر جهود باحثيها وتواردها على تجسيد الأهداف المسطرة في المجال المنهجي، مما هيأ للمدرسة إطاراً منهجياً متماسكاً، ذا رؤية تصورية وثيقة، تعكسه العديد من عناوين الأبحاث المقترحة والمنجزة، سواء التقويمية من قبيل بحث: "الرواية ومنتهى السند... السبق الحضاري الإسلامي في إرساء قواعد المنهج التاريخي من الطبري إلى ابن خلدون"⁵⁸؛ وبحث: "دعاوى تجديد كتابة التاريخ الإسلامي.. المقتضيات والمخرجات"⁵⁹، أو الاستشرافية على غرار بحث: "تطور المنهج التاريخي.. من التفسير الإسلامي للتاريخ إلى المقاربة التاريخية للمنظومات القيمية"⁶⁰؛ وبحث: "تطور المنهج التاريخي.. من مدرسة الحوليات إلى مدرسة القيميات"⁶¹.

⁵⁸- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحثة: هاجر بونياب، جامعة المسيلة، 2016-2017.

⁵⁹- رسالة دكتوراه، للباحث: فتحي قرازة، جامعة باتنة 1 (قيد الإنجاز).

⁶⁰- مذكرة ماستر، من إنجاز الباحث: يوسف القالي، جامعة المسيلة، 2016-2017.

⁶¹- من الموضوعات المقترحة غير المنجزة، المتوفرة في رصيد بنك المدرسة.

5. الخاتمة:

يعد مشروع المدرسة القيمية في كتابة التاريخ، واحدا من مشاريع البحث والتكوين، الواعدة في الجامعة الجزائرية، وعلى ما راكمه المشروع خلال أكثر من عقد من الزمن، من منجز علمي، يحصي في رصيده عشرات الأبحاث والدراسات المنشورة منها والمرفونة، فإنه وككل مشروع تأسيسي واقع بين حدي إكراهات التاريخ وأسيجة الجغرافيا، يحاول أن يمضي قدما في تأكيد وجوده، ومحاولة الظفر بفرصة الذبوع خارج حدوده، وهو في ذلك يصدر عن قناعة أن النجاح مرتين باختبار ما لديك من مدعيات خارج قواعذك وأكنافك، حيث لا مجال للتقريب والمجاملات.

لقد سمح لنا الوقوف على مشغل الديني والسياسي في منجز المدرسة القيمية، بتسليط الضوء على واحد من الحقول المعرفية التي ينتظمها مشروع المدرسة تحت مسمى "حقل السياسة والتدبير"، وهو كما تقدم في عرضنا أحد خمسة حقول معرفية ضمن السياق الاستكشافي، ولما كان هذا السياق لا ينفك عن نظيره الاستشكالي بحقوله الخمسة أيضا، فإن ذلك لمما يضيفي على أبحاث المدرسة زخما خاصا في قضاياها المتناولة، ومواردها المستمدة، ومقارباتها المعتمدة، وهو ما حاولت هذه الورقة إمطة اللثام عنه، لتضع عينة من المشروع على محك الاختبار والنقد والتمحيص.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الأزرق، محمد بن علي: بدائع السلك في طبائع الملك، نسخة أولى بتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1976؛ ونسخة ثانية بتحقيق: علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام، العراق، 1977-1978.

- إسماعيل، محمود: "من سمات الخطاب السلطوي إزاء قوى المعارضة في الإسلام"؛ ضمن الكتاب الجماعي: مسالك الثقافة والمثاقفة في تاريخ المغرب.. أعمال تكريمية مهداة للأستاذ السعيد لمليح، تنسيق: أحمد الصديقي وآخرون، ط1، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 2016، ص265-274.
- الأنصاري، فريد: أبجديات البحث في العلوم الشرعية.. محاولة في التأصيل المنهجي، ط7، دار السلام، القاهرة، 2020.
- بنسعيد العلوي، سعيد: "خطاب الشرعية السياسية في الإسلام"، مجلة التسامح (مسقط)، ع 15/صيف 2006، ص162-176.
- بوبيدي، حسين: "بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي.. قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقي"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية (قسنطينة)، ع 23/2018، ص201-228.
- بوزياني، الدراجي: العصبية القبلية.. ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2003.
- بوطالب، محمد نجيب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.
- بولطيف، لخضر: "دور الفقهاء في تأمين الغطاء السياسي للسلطة المرابطية في مواجهة خصومها"، المجلة التاريخية الجزائرية (المسيلة)، ع 03، جوان 2017، ص63-73.
-: "فقهاء الغرب الإسلامي بين خلافتين: الموحدية والعباسية"، ضمن كتابه: الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي بين التنظير والممارسة، ط3، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة، 2018، ص103-140.

-: "فقهاء مدينة سبتة في عصر الموحدين.. من المناهضة إلى المناصرة"، ضمن أعمال الندوة الدولية: أعلام مدينة سبتة في التاريخ المغربي والعلاقات السبتية الفاسية، المنعقدة بفاس، بتاريخ: 26-27/11/2008، إعداد وتنسيق: حميد لحمر، منشورات جمعية فاس سايس، فاس، 2010، ص 123-133.
-: "المعلن والمضمر في علاقة ابن خلدون بقبائل المغرب الأوسط.. المال والسلطة والولاء"، مداخلة في الملتقى الوطني السابع عشر بسكرة عبر التاريخ: العلامة عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406م) بالجزائر وبسكرة، من تنظيم الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية ببسكرة بالتعاون مع مخبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي في معالجة اللغة وتحليل الخطاب ومخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها بجامعة بسكرة، بتاريخ: 17-2021/12/19 (غير منشورة).
-: "المهدوية في الغرب الإسلامي بين الرمز الديني والتوظيف السياسي"، مداخلة في المؤتمر العالمي الرابع: النظرية المهدوية، المنعقد بطنجة، بتاريخ: 14-15/08/2008 (غير منشورة).
-: "هجرة قبيلة كومية إلى قاصية المغرب.. من ردء لدولة بني عبد المؤمن إلى عبء عليها"، مداخلة -عن بعد- في الملتقى الفكري الدولي الثاني: الهجرة عبر التاريخ.. إشكالات ومقاربات ورهانات، من تنظيم قسم العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم، بجامعة قطر بالاشتراك مع جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، بتاريخ: 03/04/2021 (غير منشورة).

- الجابري، محمد عابد: العصبية والدولة.. معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.
- حبيب، كمال السعيد: الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاي، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1975.
- عمامو، حياة وآخران: السلطة وهاجس الشرعية في الثقافة الإسلامية، تقديم: الصادق بوبكر، ط1، دار أمل للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، 2005.
- فلهوزن، يوليوس: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في الإسلام.. الخوارج والشيعة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.
- مولى، علي الصالح: "جغرافية الحقل التاريخي في ضوء تقاطع الاختصاصات.. محاولة في إعادة تشكيل المفهوم"؛ ضمن كتاب جماعي بعنوان: بعض قضايا المنهج في علوم السياسة والتاريخ والقانون والديموغرافيا، تحرير: مراد ديان، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2023.
- هنيّة، عبد الحميد: "التجديد في الكتابة التاريخية عبر منهج أهلنة المعرفة"؛ ضمن كتاب جماعي بعنوان: بعض قضايا المنهج في علوم

السياسة والتاريخ والقانون والديموغرافيا، تحرير: مراد ديانى، منشورات
المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2023.
- هويدي، فهي: مواطنون لا ذميون.. موقع غير المسلمين في مجتمع
المسلمين، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1999.